لستَ يوسف: نصوص شعرية
الكاتبة: رحاب زيد
تصميم الغلاف: عبير محمد
إخراج داخلي: الباشا عبدالباسط
رقم الإيداع: 8049 / 2018
الترقيم الدولي: 978 - 977 - 6642 - 12 - 6

دار لوغاريتم للنشر والتوزيع والترجمة

E_mail: Logarithpublish@gmail.com

Tel.: **01015642559**

المدير العام: إيناس ناصر
المدير التنفيذي: شادي أبو شهبة

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة ©

لست يوسف

شعر

رجب زيد

مقدمة

ربما يُدهش البعض عندما يجدونني أكتب مقدمة ديواني بيدي، ومعهم حق في اندهاشهم فهي ليست المرة الأولى، فقد كتبتُ مقدمة ديواني الأول، والذي كان يحمل عنوان "لأني امرأة"، وها أنا ذا أتمادى في تبجحي وغروري؛ لأكتب مقدمة ديواني الثاني "لستَ يُوسُف"، ولعله لم يكن تبجُّحًا ولا غرورًا كوصفي السابق لما قد يراه البعض من إصرار في كتابة المقدمة بنفسي، ولكن عمق معرفة.

فلن أجد من يعرفني مثلي، ولم يعاشرني أحد منذ أولى شهقات الحياة إلى الآن إلا أنا، ولذلك فأنا أجدر الناس بالكتابة عن نفسي فقد عاصرت معها انكساراتها ونجاحاتها وانزواءها وعزلتها... أعرف متى بكت، ومتى داست على الألم، وكيف وقفتْ وانتصب ظهرُها بعد كسره!

أعرف كَمَّ التحدي فيها، وكَمَّ الاعتزاز بالنفس والشعور بالكرامة، كل هذا جعلني أُأْمِن أنني الأجدر على التعبير عني لمن لم يعرفوني إلا من خلال أسطر قليلة على صفحات التواصل، أو في الجرائد والمجلات التي اعتدت الكتابة فيها!

"لستَ يُوسُف" ليس ديوانَ ولا تجربة شعرية؛ إنما حالة فرضتْها عليَّ زوايا

مجتمع، وطبيعة عمل أجبرتني على التواجد بين قلوبهم وقلوبهن؛ لأتيقن يقين إبراهيم حين تأكد بأربعة من الطير، بأنه لن يوجد يُوسف الصديق الذي سيفتيني في رؤيا قلبي ويسكن المرايا، لن يوجد بينهم من يقول لامرأة العزيز معاذ الله...

سأواجه الكثير من سخط الرجال بعد كلماتي هذه، ولكن هم يعلمون جيدًا أنني كائن حيادي وقفت بجانبهم مرات ووقفت في وجوههم مرات أيضاً.

"لستَ يُوسُف" يختلف كثيرًا عن "لأني امرأة" فهو حصيلة اختلاف الخبرات والرؤى بعد انتقالي إلى الغربة، ثمانِي سنوات خلقوا اختلافا شديدًا في شخصيتي وطريقة كتابتي وأفكاري وطموحاتي، مما جعل هذا الديوان مغموسًا بالمشاعر... بالحنين والحيرة معًا.

الأماكن ليس لها اعتبار هنا، لكن كل القصائد ستلمحون فيها شيئًا من روحي وهمسًا من رحيق الغربة التي أشعلتْ قلبي نارًا ونورًا، وحنين جارف يستصرخ كل كلمة وحرف داخل قصائدي.

ألهمتْني قصة سيدنا يُوسُف بكتاباتٍ عدة طيلة حياتي، وكان آخر هذه الإلهامات قصة الحب والشغف التي كانت بين السيدة زُليخة والكريم ابن الكريم ابن الكريم كما قال عنه رسولنا صلوات الله عليه وأزكى التسليم.

إنها قصة تُشعل الوجدان حُبًّا دون حُب، فما بالك لو أننا نُحب! يوسف

دعته امرأة ذات مالٍ ومنصب وجمال؛ فقال لها معاذ الله، سيقول البعض هو نبي والله يعصمه؛ فأقول هو قد أتاه البرهان ومن تمسك بالله سيأتيه ألف برهان ولكن من منا حين قيل له هيت لك قال "معاذ الله."

لم تكن قصة يوسف وحدها الملهِمة لروحي في الكتابة، بل القرآن الكريم بكل ما فيه من سماحة وجمال لفظي، وبلاغة وبيان، إنه المعلم الأول لكل من مسك بالقلم وخطَّ على وجه دفتر، إنه تشبث الروح بالسماء وطاقة النور ونفخة الله في روحنا، حين لا يكون أمامنا إلا الأروقة المظلمة، فيتحول الشك لإيمان ويزيد فينا اليقين.

في هذا الديوان سندرك كيفية الرؤى دون عينين في حالة استبصار لما بين السطور، سيكون الحكم فيه لأحاسيس الروح، لنبضة الحنايا، للحديث الخافت بينك وبين نفسك وهي تزفر أنفاسها وتتساءل كم تشبهني هذه القصيدة؟

لم يقف الديوان على حافة الرومانسية فقط، ولكنه تمدد ليشمل الصراعات النفسية بيننا وبين قلوبنا، وحب الوطن، وانزواء النبض منا وإنكارنا لذاتنا أمام المرآة، وهزيمتنا أحيانًا في الحرب أمام أنفسنا.

"لستَ يُوسُف" هو ابتهال قلبي في لياليه المظلمة، وتراتيل أردتُ بها الصفح عنه... هنا غواية الفكر، وزهد المتصوف، وتبتل العاشق، هنا بعض مني وبعض منكم...

أنتعلُ شيئًا من بريق لأرقص رقصتي الخيالية... رقصة بأرجلٍ حافية تهتك ستر الوجع وتقول له ارحلْ من هنا فقد سئمتُ... انطلاقة الروح تأتي بأول ضربة من قدمي على الأرض واشتهاء رحابة الكون يقف علي حافة انصياعي للدوران فوقها وهي تدور حولي... كم من المدارات عليَّ أن أعبر ليبدأ تاريخي بالازدهار... تلك الرقصة على أنغام موسيقى القلب تخبرني أن شيئًا مميزًا في هذا الكون قد خُلق للفرح... ثمة شيء يرقص معي ولا يبغي الإفصاح عن نفسه... فقط يقول لي كوني تلك المرأة التي أحببتها يومًا ما.

رحاب زيد

نبذة عن المؤلف

رحاب محمد زيد صحفية مصرية، شقَّتْ طريقها في مجال الصحافة، وتقلَّدتْ العديد من المناصب الصحفية في الإمارات، في جريدة الخليج، هيئة الطرق والمواصلات، ومجلة سيدتي.

مهتمة بقضايا المرأة، وسَعَتْ لتغيير قانون الأحوال الشخصية؛ وتمَّتْ الاستجابة مؤخَّرًا لمطالبها، لديها مبادرتان في مجال المرأة هما "متقبليش_متسكتيش_متكمليش" والتي تتصدَّى للعنف ضد المرأة، و"ن_القوة_تاء_التمكين" والتي تهتم بتمكين المرأة المعيلة من عمل خاص بها. لديها مبادرات في العمل التطوعي منها "أيد الخير"

كما أنها مهتمة باكتشاف المواهب الشابة والتي لا تستطيع الوصول لغايتها فقامت بمبادرة "الصومعة"، والتي تتبنَّى فيها المواهب الجادة والواضحة في "الفن التشكيلي، الرواية، الشعر، السيناريو، التصوير" لتصل بهم إلى النور والتحوُّل من الموهبة إلى الاحتراف، عن طريق إقامة معارض لأفضل الفنانين التشكيليين وطباعة أفضل الروايات ودواوين الشِّعر التي تقدِّم قيمة حقيقة للمجتمع.

إهداء

إلى فارسي الأوحد... الرجل الذي لن يتكرَّر في حياتي، ولن أجد حُبًّا كحُبِّه ولا قلبًا كقلبه... إلى أبي لروحك السلام يا كل روحي طِبْتَ في مثواك... أعلم أنك معي وحولي يا قطعة قلبي المدفونة في التراب..

إلى تلك الصابرة... الصامدة... المقاتلة الشرسة في وجه الحياة... أمي

أي حرفٍ ذلك الذي سيسعفني معك وأنتِ السند والقوة والظهر... وأنتِ حقيقتي في زمنٍ زائف كل ما أريد أن أقوله أن لا أحد يُلملم شعثي إلا أنتِ يا أمي، كنتِ ومازلتِ نعم الصديق الكاتم للسر، ونِعم الصديق المرشد للصواب والحضن الذي لا أخطئ وجهتي إليه أبدًا... كيف تمنحيني كل هذه القوة وأنتِ بكل هذا الوهن.

إلى أضلعي التي لا تنكسر أبدًا ولا تخونني مهما خانني الزمن... أخواتي

أمير... مديحة ... هبة ...عصام ...أنتم الباقون والآخرون إلى زوال

إلى ثلاث يمامات هن حبَّة القلب وسكن الروح بل هن الحياة

سارة... سهيلة... لارين... حمى الله قلوبكن يا صغيراتي من رَجُلٍ ليس بيوسف

إلى ثلاثة أعمدة هم رجال حياتي

سامر... مازن... معاذ... أنتم عصاي التي سأتوكَّأ عليها في مشيبي فكونوا كالوتد

إلى الصدق في حياتي

أصدقائي وصديقاتي أتمنى عندما أرحل أن أكون صديقة تُذكر بالخير

إلى كل امرأة... رجاءً أحبي نفسك حتى تجدي من يُحبك بصدق، كيف سيعرف الآخَر قيمتك إن لم تعرفي قيمة نفسك.

إلى كل رَجُلٍ ... رجاءً كن كـ يُوسُف أو قل من البداية أنك "لست يُوسُف"

رحاب زيد

دهشة

أنا امرأة الدهشة

أدهِش الأشياء والأشخاصَ

وأدهش نفسي...

أرسم الطلاسم الأزليةَ على أصابع الفراغ

يلعنني الوقت؛ فأباغته بابتسامة

تدور الأرض؛ فأباغتُها بصمودي،

وبين كل حكاياتي الطفولية

أجدُ دمي ودموعي وابتساماتي

موشومةً على جدار القلب

تحتضن الدفءَ

تحتضن اللهفة

وتشع ضوءًا خفيًّا بين ثنايا الروح...

أنا امرأة الدهشة...

أبعث الطمأنينة إلى طاولتي

ومزهريتي...

وكرسي خشبي متهالك

لا أدري كم مَرَّعليَّ من الوقت

وأنا عاكفة على أشيائي الحميمة

أتشبث بها كحمامة بيضاء

لطَّخ الأحمرُ ثوبَ عرسها

وأبَت إلا أن تطيرَ في شموخ

وهي تحمل غصن الزيتون...

"لبلابة"

نعتَني أحدُ الطيبين بهذا الاسم

لأنني ألقي بظلالي

على أشد الأمور قيظًا...

صفصافة

نعتني آخَرُ مشيرًا إلى أنني

كنتُ ظِلًّا لطفلةٍ شاردة

تلعب في حيٍّ عتيق

يقطينة أظلَّت نبيًّا...

هكذا وصفتْني امرأة عجوزٌ تقرأ الكَفَّ

وياسمينة كنت

في عيني حبيب اختطفه الموت...

كلهم نعتوني بأسماء لا أدري هل تشبهني أم لا

ونَعَتُّ نفسي غديرًا...

يروي الأرض ولا يحتاج سُقيا

فينبت الزهر من قلب الصخر

والقلوب الجُدب

لستَ يوسف

لستَ صِدّيقًا كيوسف

حتى أقُدَّ قميصَكَ من دُبُرٍ

فأقُدَّ معه حفنةَ أحلام

فقط لأقول هيت لك

أنَّى لي هذا

وبرهان الرب قد تجلَّى في أعيننا

وأذَّنَ مؤذِّنٌ بيننا

أيتها القلوب إنكم لعاشقون

قالوا قد شغفكِ حبًّا

قلتُ لكني أعرضتُ

واستغفرتُ لذنب قلبي

إذا ما الشوقُ أضناه

أفتأ اذكره؛ فأشُمُ ريحَه

ثم أتذكَّر أنه

لم يزل في ضلاله القديم

الآن حصحص الحق...

ريحُ القميصِ لن تُبصر ظُلمة الروح

والدم الكذب نطق:

أن الذئب عوقب ظلمًا وبُهتانًا

الجُب يا رفيقي لم يكتم يومًا سِرًّا

وكيف للدلو ألا يُخرج الأسرار

نسوة المدينة اللاتي

قطَّعن أيديهن لأجلك

المتكأ المُعَدُّ لهن ضاق ذَرْعًا

واليوم يكفكفن الدمع عصيانا

لستَ يُوسُف حتى تقول معاذ الله

لكنك تحمل قلبَ إنسانٍ

خُلِق ضعيفًا

لكنه أبدًا لم يُخلقْ شيطانًا

قد ينطق فيك الظنُّ

ويتحول الشكُّ إيمانا

أكرمتُ مثواكَ داخل قلبي

فإذا بك تراودني عن حُلمي

فاستعصمَ الفؤاد وظَلَّ ظمآنَ

إن كان الشغف حبًّا خطيئة؛

فإني أدعو الله غفرانا

امرأة مرفوعة مؤقتاً من الخدمة

ممنوعةٌ أنا معك من كُل الأشياء

ممنوعةٌ من الحُلم...

من التمني..

من الاشتهاء...

من ذِكر اسمك جهرًا...

من عفوية الحب والاشتياق

سجينةُ قفصكَ الذهبيّ

وزادي بعض شوقٍ، وبعضُ كبرياء

تسكنني أودية من الحرمان

ورغبة في الانزواء

ممنوعة أنا يا سيدي

أن أرسل عبيري في رسالة زرقاء

أن اسكب دمعي على وَردِكَ الأحمر

أن تُقبّل شفاهي يدَ البُكاء

كم أردتُ كَسْرَ حواجزي؛

فيتحوَّل السخط إلى لحظاتِ عناق

كم أردتُ الخروج من قفصي

فأعود إلى صدرك للاحتماء

أصعبُ شيء يا سيدي

يمكن أن يواجه امرأة مثلي

أن يكون اسمها ضمن الأسرار...

أن تكون قصتها في الخفاء

أصعب ما يمكن أن يواجه امرأة مثلي

أن تكون كتاباتي مشاعًا

مجرد حروفٍ لا تستحق العناء

أن تقرأني دون اهتمام

وتسمعني دون اهتمام

وتجعلني بعد كل أخطائك

أدفن رأسي في الرمال كالنعام

يا سيد وجودي

لا تُخبِّئ مشاعرك خوفًا

من انتفاضة الأخريات

فهن في قصتك مجرد عابرات

أما أنا

فأهديك قصة لا تموت مع الأيام

قصةٌ تُجهضُ الوهمَ في رحم الأحلام،

فراشات الحدائق

لا تقف على غصنٍ واحدٍ

أما عصفورك فيسكن قفصك

باقٍ على ما عاهد

تغدو وتروح ويظل في انتظارك

فهو وطنُك وقلبك ودارك

"حبيبتي..."

أيُّ سِرٍّ تضعُ في هذه الكلمة

أيُّ نبضٍ يُحييني فيها

وأي سُمٍّ يقتلني بها

تُغضبني ثم تعودُ كالصغير

يشتهي ضمَّةً لصدر أمه

"حبيبتي..."

ما عدتُ أعلم إن كنتُ حبيبتَكَ أم لا

يا قدَرَ قلبي وغضبه ومنتهاه

إن للشوق لذَّةً

ما فارقتْني إن عرفتَ مداه

أنا يا صغيري لم أتخذك حبيبًا

وإلا رحلتُ عنك في أوَّلِ هفوة

وأوَّلِ غفلة إهمال

أنا اتخذتُك وطنًا.. وطفلًا.. وأبًا

ورَجُلاً اختصرتُ في عينيه كل الرجال

أتراني أصبتُ يا صنيعةَ الهوى

أم كل ما رسمته كان قصورَ رمال

ما بعد رقصة البندول

ثم ماذا بعد؟

إنها تناهز الثانية عشرة صباحًا

كل الأشياء تتحوَّل رمادًا

ينثر رفات الساهرين

بعدما أشعل الحرائق في أجداثهم

المسافرون بقلوبهم فقط

هم من يحملون عبء الطريق

الثائرون في وجه الظلم فقط

هم من يعرفون أن للدم رحيقًا

العائدون من الغياب فقط

هم من يفكُّون طلاسمَ الحزن العتيق

ثم ماذا بعد؟

ثم ها هي تُداعب العقارب في ألق

تلعق الثواني وتقبِّل الدقائق بشهوة الضياع

لا تملك من أوامر الوقت إلا الانصياع

قوة التبجُّح والعصيان

يخفضان جَناح الذُّل على أعتاب الأيام

اضغطْ على نبضك جيدًا

حتى لا يتسرَّب منك والناسُ نيام

اقتل تلك الرجفةَ في الأوصال

واجعلْها ترقد في سلام

ثم ماذا بعد؟

ثم الليلة تحدِّث نجومَها في صخب وكبرياء

أخذتَ مني حب السكينة والبقاء

ثم غادرتَ أحلامي على استحياء

ترغب النشوة في حضن الفَنَاء

ترسم ابتسامة على وجه القمر لتمحوَ الشقاءَ

ثم ماذا بعد؟

الظلال بلون الجفن الساهد تحتجب

يُشرق منها أملٌ كاد أن يحترقَ

يُعيدُني إلى دقَّات الوقت المنتحِر

العقارب تلتهم وجبتَها

المدفأة تبتلع لهيبَها

وكل الأشياء تتَّحِدُ

لتصنعَ فكرةً واحدة

حين تلتحم الثواني لتُعلنَ أنها الآن الواحدة

حافية على جسرٍ من الوَلَه

على جسر الغِناء
كانت تشدو بأغنيتها المُفضلة
بعد أن باعوا أمنياتِها على أرصفة التخاذُل
الأغنية تعزف نفسَها
تضع مقاماتها
وتمتزج بالراوند
تنتشي على حافة نهر
يراها الماء العَذْب وهي تشدو
يعكس صورتها بتجلٍّ وحُبٍّ
ليُخبرَها أن الحُبَّ المعقودَ على جبينها
جعلها - كالماءِ - سببًا في كل شيء حي
تركض أكثر
ويتعقَّبها نسيمُ البوادي
ويرغبها تبْغُ الغليون
وترقص على خطوة أقدامها السواقي

كمَيتٍ من الفَناء يعود

تعود لتجلسَ على حافة النهر

تُلقي حجرًا على وجهها المطبوع

وتذوب بين دوائر الدوَّامات

تهسهس لنفسها

حورية أنا في مشاعري

بدائية... غجرية

ثمة أشياء تُحرّضُني على الرقص

ثمة أشياء تشُدُّني للحزن

ووهَجٌ من نشوى

يُطلق حبْلَ اللامبالاة

كلما اتَّحَدَت النبضاتُ

تفرَّقت العبَرَات

كلما استيقظ اللَّهفُ

انطفأ الألقُ

كل الأشياء تشبهني

ثم أجدني لا أشبه أحدًا

التعويذة

على غيمة شفتَيك
أُقْدِمُ على الانتحار
وأنا تملأني الدهشة
ثمة حديثٌ عابرٌ يتسلَّل من بينهما
يُرتّل آياتِ العِشقِ
في ابتهالٍ عجيب
يقرأ تعاويذَه على جدار القلب
فيميل بي إلي حيثُ ذراعَيك
إلى حيث الغَرَق حتى قاع عينَيك
لأرسم لك حُلمًا أهوجَ
وأوْشِمَ على قلبك نبضًا جديدًا
يمحو مَن هُنَّ قَبلي
ويُشيِّعهن إلى مثواهن الأخير

ويوقف مَن هُنَّ بَعدي وقفةَ حِدادٍ

لتصبحَ كلُّ امرأة غيري

صورةً معلَّقةً

على لوحة ذائبة باهتة الألوان

لا روحَ، لا حياةَ...

وحدي أنا أشعِل نيرانَك وأطفئها

وأخلُق منك وهجًا

يُوقظ تاريخَك النائمَ منذ سنوات..

وحدي أملك مفاتيح المِحْراب

وأتعبَّد فيه كل ليلةٍ حتى وأنا بعيدةٌ عنك...

مَن فيهن تستطيع فكَّ الطلسم

وقراءةَ ألف تعويذة عشقٍ مثلما أفعل

لا أحد فأنا في مكاني

حيث لا أحد يستطيع أن يدنو

وإلا احترق

ابن الخطيئة

كل خطيئتي معك

أني وضعت تاجًا من الياسمين

على قلبك..

على رأسك..

الياسمين أبيضُ كطُهر العذراء

كبراءة الذئب من دم يوسف

وكصَفْح المسيح رغم الغدر

الياسمين حنون كصدر أُمٍّ

أتاها طفلُها

بعد عشرين عامًا من العُقم

أنت تُحب...

الزهورَ الاصطناعيةَ

بلونها الأسودِ الذي يُشبه قلوبَ البعضِ

أنت مغرم يا رفيقي...

بالزهور الجافة

حيثُ لا روحَ..

لا رائحةَ..

لا صِدقَ..

أما الياسمين...

فهو قلوب العابدين

يُرتّل صلواتٍ

يُرتّب ضجيجًا

يمحو زيفًا

وأنت مفعَم بعشق الزيف

ترى فيه غايتَك

لا يُرهقك كثيرًا

ولا تحمل أوزارَ ضلالِه

ما رأيك لو تركتَ ضلالَك القديمَ

واحتميتَ من حزنك بالياسمين؛

ستجدُ بئرَ الوجع نضب لا محالة

ستجد الوهن أصاب كل شيء كريهٍ

ستجد روحَك كطفلٍ صغير

يولد كلَّ يومٍ من جديد

سفينةُ غرْقَى

أحتاج للنوم كثيرًا يا أبي،

أحتاج للصمت للغفوة،

أحتاج لأمانٍ مِلء عيوني؛

حتى أنامَ دون خوفٍ من الغد،

أثقلت الأيامُ كاهلي يا أبي،

ولازلتُ أقول لن أبْرَحَ حتى أبْلُغَ!

أتَعْلَمُ شيئًا يا أبي:

منذ رحيلك والذئاب حولي تعوي

والكلاب تمزّق ردائي

والغربان تنوح فوق شبَّاكي

وأنا لا أملك إلا النظرَ إلى السماء

واستجداءَ الرحمة منها

والدعاءَ ببعض الأشياء

لم تعد موجودًا لأختبئ فيك من الأيام

لم تعد موجودًا لتشعر

بحجم تعبي وغُصة الآلام

مصلوبةٌ أنا يا أبي كمسيحٍ

صَدَقَ في دعوته؛

فقتلوه بسَوْطِ الحرمان

مفقودةٌ أنا كيوسفَ في بئر الظلام

مظلومةٌ أنا كمريم

لم تملكْ دفْعَ الهتان إلا بصيام

غاضبة أنا من تعنُّت الأيام معي

قد قلتَ لي يومًا:

عن كل الصغائر ترفَّعي؛

ترفَّعتُ بكل كبرياء

حتى أصابني ما أصابني

يا دعوةَ ذِي النُّون أغيثي قلبي

من حوتٍ قاسٍ ابتلع أحلامي وأغرقني

أيها الصبرُ الذي

أحاط أيوبَ في مرْقَده

هلا أتيتَ الآن معي

فنوحٌ فَرَّ بسفينته

أما أنا فقد غرقتْ سفينتي

قهوتي

نسمات الصباح البِكْر

قطراتُ الندى على زجاج شُرفتي

صوت فيروز

وزقزقة عصفورتي

تُنبئني أن شيئًا ما سيحدُث

شيءٌ خاصٌّ

سيُحقِّق نبوءتي

أنك قادم إليَّ

تشُقُّ غياهبَ ليلٍ طويل

لتُعيدَ إليَّ ابتسامتي

أن انتظاري في الشرُفات

ورعايتي للزنبقات

وضياعَ ما ضاعَ من السنوات

لم يكن أبدًا هباءًا

أو محضَ تخيُّلات

لم يكن وهمًا

واحتضارًا في كَبِدِ الذكريات

أن جدائلي الصفراءَ التي تتدلَّى

في صمتٍ تُعاني السَّكَرَات

أن أجفاني التي أمعنت الشكوى

وسَكْبَ العَبَرَات

لن تفنى وتموتَ مع مَن مات

أن الجسد الذي أودعته حُزنًا وتقوى

سيُشعِل الكونَ رقصًا واحتفالات

فستاني الأخضر

والزَّهر المُعطر

والياقوت والمرمر

على الجِيد يتبختر

بقدومك..

ستكسِر كلَّ الاحتمالات

قَدَحُ قهوتي مازال يُحدِّثني

أنك لا شَكَّ آتٍ

لتختصرَ العالَمَ بين ذراعَيك

وبلمسةٍ منك يندمل الجُرحُ

آتٍ...

لِتَرُدَّ إليَّ طفلة أفقدتْني إيَّاها التنهُّداتُ

إلى امرأة أنسانيها هروبُ العمر والسنوات

إلى أنثى هجرتُها تحت ظلال الأمنيات

في آخِر رشفة

من قدَحِ القهوة

مازال عبيرُها يحدِّثني بقدومِكَ

ويطرح العديدَ من التساؤلات

ماذا أعددت لهذا اللقاء؟

قنينة العطر والزاهي من الرداء

الكُحل والعَنبر وفراشات زرقاء

وأحمر شفاهٍ بلون البُكاء

الشموع والغاردينيا على طاولة العَشاء

وأنتظرُك على مفرق الطريق

بقرنفلات منتشية منسيَّةٍ

وأحلام عذراء بِكْرٍ

بثياب عُرس وردية

وتخت أشعلته حُلمًا

بشرشف أبيضَ

وعصفور الجنة يزين المزهرية

ولكن هل يليق هذا الاحتفاء

بقصة حبٍّ عُذرية؟

آهٍ لو لم يُغلِّف الجليدُ قلبي وكياني

لغنَّيتُ لك كل ما في القلب من أغاني

لأهديتُك شيئًا مميَّزَ المعاني

كأنشودةٍ أشتاقك.. كترتيلة أُحبك

كهُدبٍ حالمٍ

يكتُب على قلبك اسمي وعنواني

زهور جفّتْ اشتياقاً

أنا يا سيدي امرأة تخشى الشتاءَ
تخشى أن ترتعِدَ فلا تجد ذراعَين
تلثمان القلبَ...
وتبُثان الدفء في كل الأشياء
أخشى الذكرى
حين تطوف في أنحائي
فتشعِل القلبَ حريقًا واشتياقًا
وكيف لا وستائري مفعَمةٌ بالبكاء
وأيامي عصفتْ بها رياحُ الوجع دون حياء
أنا يا سيدي أنثى...
خُلقتْ من نعومة الحب
وسكنتْ على أطراف القلب
وضعت الزهرةَ داخل الكتاب

منعتْها من الحنين ومن العتاب

قتلتْها على أعتاب الغياب

يا طفلَ العذاب....

شيءٌ داخلك يقتلني وآخَرُ يحيني

شيء يتمرَّد على ما بقي من عمري وسنيني

يا رفيقي

ما أصعب أن أكتبَكَ؛ فلا تقرأني..

وأنتظرَك؛ فلا تشعرني..

وأسعى لدفئك..

لكلمة أحبُّك...؛

فتبتسم وتخذلني

طلاسم حزن

هل تعلم معنى أن تحزنَ؟

أن تحزنَ معناه

أن تكتُبَ شيئًا مختلِفًا

شيئًا بلون الإبداع

من رحم الإمتاع

بلون الشجن الموصوم في النفس

وطفولة وبراءة الأمس

أن تحزنَ معناه

أن يغزلَ القلمُ حُلمَ الدموع

ويحترق الصبر بلهيب الشموع

أن يقيمَ الكونُ صلواتِه بخشوع

أن تُعاني كل الظواهر الكونية

من حالة خضوع

فترى السماء باهتةً بلون الاصفرار

وتغيب الشمس في معاقل الاحتضار

ويُصبح السكون لغةَ ومنهجَ الأخيار

هكذا علَّمني الحزنُ

أم تُراني أنا من علَّمتُ الحزنَ؟

فصنعتُ له سماءَه

ووضعتُ خطوطَ اضطراباته

ومحوتُ بالتقوى سيئاتِه

حتى يكونَ شيئًا خاصًّا

يليقُ بنظرة عيني

شيئًا يحيا بيني وبيني

وأنا كطير يتهاوى في الريح

ليعودَ ويسكنَ الغُصن الجريح

آهِ لو تعلمون معنى حزني...

في حزني كل الأشياء تختلف

حتى الهُدب...

في تيار الوجع ينجرف

والبحر يرتفع منسوبه

ليس مدًّا ولا جَزرًا

ولكن لانتحار الدمع من أجفاني

مع حزني أشعر أنَّ الكونَ يُعاني

ليخلقَ وجعًا مُكتمِلَ المعاني

ليخلقَ أرضًا لم تُخلَقْ إلا لزماني

ليُعلِّمَني كيف صار الإنسان أنانيًّا

لأصيرَ في لحظة

العُمرَ الضائع...

والزمنَ الضائع...

والوفاءَ المُندثِرَ

المُهدرَ دمه

على أرصفة الشوارع

أعود لأصيرَ في لحظة

كلَّ صادقٍ بصدق الكُتب المقدسة

في زمن القرصنة

والقلوب البائسة

كماء تحتبسه السماء

وتترقَّبُه الأرض بشَغَفٍ وإعياء

أعود لأصير في لحظة حمامةَ الحرية

تطير نحو كونٍ أكثرَ رحابة

تمتلك عُشًّا في سحابة

ترتدي ثوبًا ناصعَ البياض والبراءة

يشبه قلبي...

لكن رصاص الغدر

يُلاحقها بتعنُتٍ واستياء

يقتلها..يُلطِّخها بالدماء

وهذا دومًا حال الشُرفاء!

أسعى لإعادة المحاولة

بنفس الصلابة

والقوة

والرتابة

لأعود لنفس البوتقة

لعصفور مشرَّد

يسكُن صرحًا مُمرَّدًا

يرفض كلَّ يدٍ تحتويه

يرفض كل غصن يهتديه

يسكن الريحَ

ويودع كل قلبٍ جريح

أعود للحزن..

برِقَّته..

بعذوبته..

بشراسته ورفاهيته...

استقِرُّ في رحمه

أتذوَّق طعمَه

فهو الأجدر بي

فهو الأكثر حفاظًا عليْ

فهو الأكثر ولاءً لي

فهو كل ما لدي

رجُلٌ أتى بالعيد

يقولون إنَّ العيدَ قد أتى

ليلةُ العيد!

فيما أحتاجها يا أجمل أعيادي

ووجودك كل يوم حولي

هو عيدٌ لحياتي...

رجاءً احملْني داخل عينَيك

واطبِقْ بأهدابك عليَّ جيدًا

حتى لا أتسرَّبَ منهما

حتى لا يجدني أحدٌ فيهما

حتى لا يُفتضح أمري بينهما

ماذا أحتاج يا ليلَ الشرق وسحرَه

يا عبَقَ الغربِ وجنونَه

يا غيمةَ الحُلم وظنونَه

دَعْني في ليلة العيد يا عيدي

أرتدي ثيابَ أميرة

من العصور الوسطى

وأتأبط ذراعَيك في خيالي

وأطوف بك بلادَ العالم

بكل غرور..

اسمح لي

أن أضعَ لك عطرًا

يحمل كل الإيحاءات الوجدانية

وأحتضنك في رقصة خيالية

وتعزف لنا ألفُ قيثارة أسبانية

اسمح لي

أن أشتاق في أنفاسك لعبير الوطن

فأعدُّ لك العَشاء

وأزيّنه بياسمين الشام

ووَرد ينبتُ لأجلنا فقط كل عام

أن أدعوَ في ليلتي لأجلك السماءَ

أن اختصر من العمر

بعضَ السنوات... بعض الأشياء

فلا يبقى إلا أنا وأنت

لنخلقَ عالَمًا آخَرَ مُختلِفَ السِّمات

يختلف عما مضى ويتنصَّل من الذكريات

إلى أبي

اليوم يمر عامان

هل حقًا رحلتَ منذ عامين؟

أم منذ ألفي عام؟

الساعة تدق العاشرة

...كم أكره تلك الساعةَ المُتحجِّرةَ

العابثةَ بذكرياتي

بعقلي...

بأنفاسي وآهاتي...

حين رحلتَ كانت أيضًا العاشرة

كانت تدقُّ بقسوة

وكأنها خنجرٌ ينهال على قلبي بالطعنات

عشر طعنات يا أبي أم عشر دقَّات؟

آهٍ من قسوة تشرين

حين عصف بكل ما هو جميل

بالحب والأشجار والرياحين

مضى عامان

ومازال كل الكون يبكي

ببوحٍ كعويل قلبي

تبدَّلت كل الأشياء

الزهر والريحان

حتى نسمات نيسان

أغنيات الماضي والعذْب من الألحان

هل تصدِّق يا أبي

صوت عبد الوهاب صار يبكي

أشتاق أن تسمعه

أن تدندنَ له

ولكم اشتاقك قلبي

وكل الأشياء حولي

اشتاقت لك الأماكنُ والأركان

المنزل الذي لم نرَ فيه

إلا الحُبَّ والأمان

مازال منزلنا يحمل صوتَك

وهُتافك باسمي

ومازالت تتحدَّث عنك الجدرانُ

(2)

أبي

زهورك تسألني عنك

ريحانتك

لوحاتك

وفنجانُ قهوتك

وعطرك الممزوجُ بجلبابك وعباءتك

كُرسيك الأبيضُ في الشرفة

يلفظ أنفاسَه انتظارًا لعودتك

جريدتُك

تُحدِّثُني حروفُها

أنك ربما تعود مع صيفٍ

لم يكن بقسوة خريف من عمري انتزعك

أستنشق عبيرَ أنفاسك

الممتزِجَ بحريق أيامي بَعْدَك

وأعبث بنظَّارتَك

وأتحدَّثُ عنك مع جدران غرفتك

ألمس سريرَك؛ فأجِدُ دِفء روحِك

مازال يسكنه؛

تحتضنني وسادتُك

لتُخبرني سِرًّا أنه لم يعُد هناك

أملٌ في عودتك

(3)

أبي

أتذكُر ذلك الطيرَ الصغير؟

الذي كان يقف على شرفتنا

يزقزق ويطير نحو غرفتنا

وينادي عليك لتُطعِمَه

وتُسقيه من قِربتنا

مازال يأتيني

ينتظر على الشرفة

ربما يجدك يومًا

ويستظِلُّ بغيمتنا

مازلتُ أضع له الحَبَّ والماءَ

وأنا أدعو بالرحمة لك من رَبِّ السماء

والقلب يذكُرك

ويذكُر حكاياتِ الشتاء

تجمَعُ حول المدفأة

ضحكاتِ الصغارِ الشيقةَ

وأقداحَ الشاي الساخنةَ

ينبض فيها دفءُ العائلة

الصبر يلمعُ في عينَيك

والمسبحة بين أصابع يدَيك

زمان يصرخ غيظًا

لأنه لم ينتصر عليك

حركاتك البطيئةُ يطيح بها المشيب

والمذياع يصدح بصوت أمِّ كلثوم

"رَقّ الحبيب"

نظراتك وشرودك نحو السماء

وأنت تبتهلُ لله في الدعاء

مراقبتك للطيور تعود لأعشاشها

وهذا كل ما أملكه منك والدنيا بعد فنائها

(4)

أبي

تغيَّرتُ كثيرًا كثيرا

الطفلةُ ما عادت طفلةً

ما عادت تحلُم بالحلوى

ما عادت أبدًا لُعبتها

عروسًا تنطقُ بالشكوى

أبي .. كبُرتْ طفلةُ الأمس

ما عاد قلبها ينطق بالهمس

حتى ملامح وجهي تبدَّلت

تغيرت

صارت ملامحَ جادة

نظرةُ عيني الناعسة

صارتْ نظرةً حادة

ما عادتْ تتقاذف فيها شقاوة الصغيرات

ما عادت تحوي داخلها أحلام الفتيات

صهرتني الحياة

حتى صرت شيئًا أعمقَ.. شيئًا أنضجَ

شيئًا يرى ما لا يراه الآخرون

شيئًا يفهم الناسَ بالنظر في العيون

شيئًا يسمَعُ الناسَ وهم صامتون

أبي

كم قلتَ لي أن أتركَ الأحلامَ

والخصلاتِ المتدليةَ على جبيني

وشرائطَ الشَّعرِ الصغيرةَ

وأتركَ البصرَ وأنفُذ للحنايا بالبصيرة

آهٍ لو نظرتني اليوم

لكنتَ سألتني عن شيء ضاع منِّي

عن عمرٍ زاد فوق عُمري وسِنِّي

سنوات ما عاد بينها قلبي يُغني

أبي..

يا حُبَّ العُمر وأخلص مُحِبِّيني

لا تقلقْ ولا تنعِ هَمِّي

ولا تحسب أن شكّي اختلط بيقيني

ولكن ما عاد شيء يُغريني

ما عاد بالإمكان لشيء أن يكسِرَني

ما عاد غدرُ الناس باستطاعته أن يهزمَني

ما عادت الأحلام البريئةُ تُزيِّن هُدبي وعيني

لم أعُد أنا هي أنا

بل صرتُ أشبهك

صرت ممزوجةً بك

أقرأ الدُنيا بحكمتك

ثم أرتمي بين أحضان وسادتك

فأسمعُها تقول: لم يرحل .. لم يمت

نعم

لم ترحل.. لم تمت

فأنا أحملُ اسمك

وأنا أُخلِّدُ ذِكْرَكَ

أنا ابنتك

تسكُن في وجهي صورتُك

تسكُن في روحي ملامحُك

تسكُن في أيامي حكمتُك

تفاصيل

لا يعلم مدى مشاعرها

وجموح فِكرها

ولا هي تعلم ما بداخلها

تمكث بين نُطفتي روح

شطْرُها جنونٌ وشطرها حُلمٌ طفوليٌّ

مازالت تركض حافيةَ القدمَين

على الحشائش الخضراء

وتفرح لرؤية الفراشات الملوَّنة

تتفاءل بحمامةٍ بيضاءَ

وتسرح مع أغنيات تشعُرها كُتبت لأجلها

تراه مختلِفًا

تراهُ كنسمات الدفء

في ليالي تشرين

بين عينَيه ترابَط الشرق بالغرب

وغيماتُ مطر من الياسمين

تراه نفحةً من بلاد الأندلس

ربما ليس فارسًا!

لكنه تستَّر خلف محراب الحرف

الذي تتعبَّد فيه كل ليلة دون خوف

تراه جُملةً ليس لها إعراب

وحرفًا ممنوعًا من الصرف

يراها كالحكايات الأسطورية

يرسمها بالخيال ويُدثِّرها بألف غطاء

حتى لا تتطاير من صدره

كالعصافير الملوَّنة

وتستغيث للبقاء

يراها أحيانًا مصدرَ الغواية

ومنبعًا للنقاء

حائر بينها وبين قلبه

وبين سَفر دون نهاية منها وإليها

ومشاعر ترفض الانحناء

يعيشُ في حُلمها متلصِّصًا

مختلِسًا لقُبلةٍ

لعناق طويل دون انتهاء

لاختلاس خصرها حين يستعصم بين يديه

وقلبٍ سريعا ما يُلبّي النداءَ

حوار البنفسج

يا زهرَ البنفسج..

أعرف أنك تفهمني جيدًا

تحفظني جيدًا

فأنا من علمتُك الحزنَ

وأنت من علَّمتَني البُكاء

تعرف أن الحقيقة تأخذ من كوني حيّزًا

وأن الكذب دومًا طفلٌ مُتردِّدٌ

والسهر يضمُّني كل ليلة

يتسلَّل إلى مخدعي المُحاطِ

بأفكاري

وهواجسي وظنوني

معي يُصبح الليل حبيبًا مُميَّزًا

صديقًا مُتحيزًا

يضُم عقلي بحنان

ويرسم على الفراغ بأصابعه

ليخلُقَني مُجدَّدًا

ويجعل ألمي قتيلاً مُمدَّدًا

يهمسُ لي بتخيُل حبيبي

حتى لا أكون وحيدة

أغمض عينيَّ

وأصنع له صرحًا مُمرَّدًا

أراه بكل آيات العشق مُترَفًا

وعلى كل المرادفات مُترفِّعًا

يقترب بهدوء شديد

يهمس في أذني: "أحبك"؛

ألتفتُ إليه،

أنظر داخل عينَيه،

وأعشق نفسي فيهما

تحتار عيناي في ألف معنًى

مرسومٍ بين جفنَيه

في ألف سؤال يبتسم على شفتَيه

في ألف جنون يتقاذف بين رمشَيه؛

أراني مذبوحةً على أعتاب ابتسامته

أراني ذائبةً بين كفَّي يدَيه

أراني ملحمةً أحلِّق في سماء

تُقبِّل وجنتَه

معه فقط أصبحُ رقراقةً كما الماء

رقيقةً كنسمات الهواء

مشاغِبةً كالأطفال الأبرياء

شغوفة دون رياء

معه فقط

أكون أنثى

تطلب بين ذراعَيه الاختفاء

تأخذني روحي إليه دون انتهاء

معه فقط تُصبح الحياةُ حياةً

يا قدرًا رقيقًا صرتُ أحياه

قلبي يحبك بألف طريقة وسبب

أفتح عينيَّ بهدووووء وانتباه؛

أجد خيالي سرقني إليه

وعشتُ كل ما لديه

فقط في حُلم .. في خيال

في قصةٍ تبتغي وجْهَ الكَمَال

إنه كان بجواري

داخلَ أفكاري

وأنني سكنتُ من خياله لمحات؛

فرآني فيما هو قادم

وما قد فات،

وما قد صار من الحُلم رُفاتًا

رآني يومًا قديسة

ويومًا رآني بائعةَ هَوًى

ويومًا رآني كُلَّ السِّمات

ورغم كل ما نزف من عبارات

وكل ما يغمر الوجهَ من عَبَرات

رغم اقتتال ما نكتبه من الكلمات

لم يَرَنِي يومًا سوى محض تخيُلات

مداد القلب

سأكتُب..نعم سأكتُب

لألف قصةٍ لم تُخلق بَعد

لألف قصة أضناها البُعد

سأكتُب لقلوب خُلقت للحُب

وقلوب قتلها الحُب

سأروي ألف رواية ورواية

وأهمسُ بألف حديثٍ وحديث

أحاسيس عن طُهر ونقاء

وأحاسيس أخرى

عن لحظات عشقٍ خبيث

سأغتال الوقت

والسَّفر

واللحنَ

والقهر

والعبَث

وأعيشُ حياة البرزخ والبعث

راهبة؟

قديسة؟

لستُ هؤلاء

لكني إنسانةٌ تحلُم بالبقاء

تحلم بأرض

لم يُمارَسْ فيها البغاء

تحلمُ بدُنيا لا يبتاعها الأثرياء

تحلُم وتحلُم

وتنتابها فجيعة الأحلام

بحُبٍ يقهر ظِلَّ الجُبناء

يهزم لحظة الشقاء

يلوِّن الحياة بلون السماء

حُب يرفض أن يُباع

أو يُكسَر على صخرةٍ صماء

يملأ الكون صخبًا

ولا يُصنَّف دون بقاء

ينتمي لعُمر الزمان

وليس ساعة ويسعى للانتهاء

فهل بمطالبي أنتمي لزمن الجُهلاء؟

ولحفنة ملقاة في الطرقات

تُدعى الأوفياء

وبألف وطنٍ وقلب

يشعُر بالمرارة والإعياء

وآذانٍ لم تعُد

تُتقن فنَّ الإصغاء

الحُب كونٌ كاملٌ يرفض الاحتواء

يرفض كل العقول الصماء

يرفض قلوب الأغبياء

يرفض كل متعجرفٍ عَصِيٍّ

يعيشُ بقلب راهب

وجسد بغيّ

لا يُدرك من التقوى

إلا شهادة

وتسبيحة نبي

الحُب كأشعة الشمس لا تَنتبذُ مكانا قصيًّا

الحُب وطنُ متعفِّف بكل ما هو شرقيٌّ

الحُب ليس إلا نُطفةَ نور

خُلقت في رحمٍ تقيّ

الظِّلِ الأحمر[1]

أركُض نحو الظِّلِّ الأحمر
أسبح في فضاءٍ لُجِّيٍّ
أعلم أني قريبًا سأُقتَل
ربما أموت بعد لحظات
ربما أموت بعد سنوات
ولا يبقى منِّي سوى الرفات
ربما أتجمَّد كحائط المرمر
ولكني سأستظل بشمس الريح
وأظل أركض نحو الظل الأحمر
يُعانقني الغضبُ
يُضاجعني الألمُ
ثم ألتحفُ الكفَنَ
فيأتي الطوفانُ على يدي
على شفتيَّ ولا أغرق

[1] "كُتبت في استشهاد 21 من جنودنا وهم صائمون في رمضان"

وأضرب الأدهمَ فيُصبحُ أخضرَ
لأظَلَّ رغم سُباتي رغم رُفاتي
رغم الشبق في أحداقي يتدثر
أظل أركض نحو الظل الأحمر
أنشودتي ما عادت تُجدي
ما عادت حسناءَ تتبختر
ما عادت عودَ الريحان
في لحنٍ صوفيٍّ يتبخَّر
وأحلام النهارِ حزينة على حواف النهر تتكسَّر
لأعودَ بمنتهى السذاجة
وقمة العفوية
أركض نحو الظل الأحمر
قد أُهدِر الدمُ على الحافات
ما بين أبيضَ وأسودَ وأحمرَ
وعجوز يبكي شتات العُمر
وطفل بضحكته يتختير
يلوذ بحضن الأمان في صخر
لا يُسمن ولا يُغني ولا يتأثر

هديرُ النفس تأكله الريح
وجشعُ الموتِ بنا يستأثر
ويظل ركوضي محتومًا دومًا نحو الظل الأحمر
شفاهُ زُرْق تقود الجحيمَ
وخلف المياهِ تبكي وتتحسَّر
على ما كان من أمجاد
على قلوبٍ لم تُقهر
نزيف الظلال يُعيد الحياة
لمصائر على الموتِ تُجبَر
يصيحُ الكونُ في وقت ظُلمة
على العدو: "الله أكبر"
قُل لا يُغيِّر ما بامرئ
حتى يرى لون القلب تغيَّر
قال أعِدُّوا؛ وما أعددنا
واللهُ لا ينظر لمن بالجُبن تدثَّر
نُمصمصُ شفاه الخزي
نقول لعل يُغيِّر من لا يتغيَّر
أنظرُ مقتولاً لمجدٍ ولَّى

كما ولَّى الليلُ والسحر

وأسأل كونًا شديد المحال

كيف أطفئ ما يستعِر

ونحن قومٌ نموت.. نجوع.. ولا نخضع

ليعود طريقي مرسوما

لأركض نحو الظل الأحمر

لا تبكوا؛ فمِن الموت تولد حياةٌ

لا تخضعوا فإن الشهادةَ فوق الجباه

واسردوا عنا الحكايا

للصغار والحنين والشجر

واليابس والأخضر

ليعلموا أننا لأجل الحرية ركضنا نحو الظل الأحمر

عطر الجلاد

صرتَ الآن تعرفني جيدًا

تعلم في أي المساءات أكون حزينة

وفي أيّها أكون مبتسمة

وفي أيّها أتصنَّعُ السعادة لأخفي ملامحَ الألم

صرت الآن تعرفني جيدًا

تعرف أنني عندما أضحك بصوت مرتفع

فإنني أخفي وجعي

وعندما أرفع رأسي بكبرياء

فأنا أخفي انكساري

وعندما أغنّي

فأنا أنعي احتضاري

صرتَ تعرف متى أكتب عنك

ومتى أكتب لك

ومتى أزهد الكتابة بسببك

صرتَ تعرف تلك البسمةَ المنكسِرةَ

وتلك الزفرةَ البائسةَ

وتلك الفرحة الصناعيةَ التي أرسمها

رغم ما يتملَّكُني من حزن

صرتَ تعرف كم أنا ساذجة

وكم أنا نقية

وكم يعبث الآخرون بصدق نواياي

تحفظ صمتي إذا ما غضبتُ

وتحفظ صفحي إذا ما صفحتُ

تعلم كم أنا رومانسية وكم أنا عفوية

وأن حُبي مجنونٌ كأنا لا يتلمَّس الهدوءَ والروية

صرتَ تعرف عني أنني أعاني

من كَذِبِ الناس في زماني

من صِدق النبض في وجداني

من وفاءٍ يتملَّكني لرَجُلٍ يكاد ينساني

صرت تعرفني مثلما أعرفك أنا

بل مثلما أحفظك عن ظهر قلب أنا

أعرف متى تغضب ومتى تحب

ومتى تهرب من الحُب

أعرف ماذا تشعر عندما تنفث دخانَك

عندما يتسرَّب الشجنُ بين أحداقك

عندما تكون موجودًا بالجسد

أما الروح فترحل عن وجدانك

صرتُ أعرفك

عندما يتلبسُك الطفل الصغير

كم أحب هذا الصغيرَ

النقيَّ كالغديرِ

صرتُ أعرفك

عندما تُخبِّئ حَيْرَتَك خلْف ضحكاتك

تقهر المشاعرَ خلْف حكاياتك

وتُنكر أحاسيسك حين تشعر بها

حين تعاقب وجدانك

يا أنت...

كم تحاول كبْتَ الحُب بداخلك

ربما تجرح لتخفي جُرحًا أكبرَ

أعرف أن الأسود يحتل تفاصيلِ ألوانَك

يا أنت أعرف عنك ما لا يمكنك تخيُّله

كيف تُسجل على الهاتف أسماءك

كيف إذا ما جَنَّ الليل تقضي أوقاتك

أعلم أسماء حبيباتك

اعرف أجمل وأسوأ عاداتك

تنزوي حين يأتيك الاشتياق

وترحل بين أغانيك القديمة خوفًا من الفراق

وتتغيَّر ملامحُ وجهك

من الابتسام للتجهُّم لأقل الأشياء

حين تنفي الغيرةَ

وتذوب تردُّدًا وحَيرة

لأسرد لك همس القصيدة

صرتُ أعرفك وصرتَ تعرفني

يا سيفًا من الياسمين يمزّقني

يا أنشودة للعاشقين تُهدهدني

رحماك فعطرك بات يقتلني

وصمتك نصلٌ يعذِّبني

مناجاة نبض

اقترِبْ؛ فإن العُمر يهربُ من يدي

اقتربْ مِني.. من كل أشيائي

في ليلي السرمدي

تنهيدةُ الصدر يا صديقي

ما عادت تتسع

لصبري وسلواي

اقترب رويدًا رويدًا

يا سِرَّ ضعفي وهمس قوتي

دعني أضع وشاحي المُلوَّنَ

على أيامك الرمادية؛

فتتلوَّن أحداقي بكلمة "حبيبتي"

دعني ألتصقُ بعطرك

بملابسك

بذلك الندى المُتلألئِ على جبينك

وتصبح الأحلامُ قبلتي

يا أملاً هدهدته في مُهجتي

يا يقينًا زرع على الشفاة ابتسامتي

يا حبيبًا طُفتُ به بين ليالي الهوى

فأضحى سري ونجواي

أين من عينَيك رسمي

أين من كفَّيك عطري

يا من كلما ألتجأت إلى زِندَيه

شممتُ عبيرَ الغابات

وسمعتُ أنين النايات

وهمس العُشب الأخضر

إن لنا في العشق آياتٍ

قُل لي: أُحبك...؛

حتى يُحاصرَ الياسمين خصري

قُل لي: أُحبك...؛

فكم بقى لي من العُمر؟ لستُ أدري

قُل لي: أُحبك...

فإن اللؤلؤ بعشق الأصداف يهذي

قُل لي: أُحبك...

فأنا امرأة يكتُبني التاريخُ على القُبلة

وبين ذراعَي الشكوى

أتحرَّر فتُراقِصُني كلمةٌ فوق جمرِه؛

يشتهيني البحرُ

يشتهيني الموج

وأشتهي أن أظلَّ حُرَّةً

اقتربْ واعزفْ لي لحنًا مجنونًا

فإني أريد أن أشعِل الكونَ رقصًا

والأوتار عزفًا

والكونَ عشقًا

اعزفْ لحنًا يليق بامرأة

لا تعرفُ ملامحَها إلا في عينَيك

امرأة خُلقت لتولَد ألف مرَّة

بين يدَيك

امرأة رفضت أن تحويَها كل المرادفات

وأعربتها اللغةُ أنثى

حين تُنادي اسمها بين شفتَيك

ستائر تبكي ليلاً

ستائري بلون البكاء

والطفلة الصغيرة بداخلي

يشملها الصقيع والإعياء

ما عادت الأقاصيص الصُّغرى تستفِزُّني

ولا الكبرى من الأعماق تشدني

مؤامرة ... مكيدة

حِيكت ضد القلب

وامتثل للانتحار فيها النبض

من أنت؟

ولماذا أنت؟

أسئلة تخترق جدارَ الصدر

تطوف بالعُمر

تُحطِّم صنمَ الخوف

وما حوله من تعبُدٍ وشِرك

لنولد من جديد في أبدية التوحيد

جميع الرغبات تنتابني في آن واحد

البكاء والضحك...

الجري حتى انشقاق الصَّدر

التراتيل المقدسة الهاربة

والصلوات الفَارَّة الضائعة

والعمر الذائب في ماء الحنين

واقتطاف السنين

أمات الورد على أغصانه

أمتثل أمام الرحيق مُتهَمًا بالتآمر

وأمام القلب بالتخاذُل...

أنظر في الوجوه

وأعشق مراقبة قسماتها

المملوءة بالحنين والوحدة

المغموسة بالفتنة والشقاء

وبعضٍ من ملح البكاء

ابتسامة لا إرادية

دون رغبة البقاء

وانتزاع العمر من لحن الغناء

ويبقى السؤال عالقًا

حياة أم فناء

لماذا يعلو الملامح الشجن

يعلوها الاستياء

رحيق الساعة يدق بالطعنات

على قلبٍ مُنكسِر الدقَّات

مُنتحِر النبضات

ليخلقَ لي زمنًا جديدًا

مليء بالتنبؤات

إنها الآن الثالثة

أنتظر دون إرادة مِني ودون معرفة

قد ألقاه وقد تكون أزِفَتِ الآزِفَةُ

وليس لآلام قلبي من دون الله كاشفة

تخطَّت الدقائقُ ساعتَها

وفقدت الدنيا براحَها

وهو لا يُصدر أيَّ بادرة

يشعر النبض بالاحتضار

قد قال سأحدِّثك بعد خمس.. بعد عشر

أم بعد عُمر من الانتظار

كالعادة أنتظره ويضيع العمر في الانتظار

وغالبًا لا يأتي .. وغالبًا لا يتحدَّث

ولا يُقدِّم الأعذارَ

وأعود أنا بالخجل

أحمل لقلبي بقايا اعتذار

سحر الغواية

احذرني هذه الليلة؛
فقد أقسمتُ أمام مرآتي
أن أُسكِرك من الكلمات خمرًا مُعتَّقًا
يليق بجنوني وجنونك..
أقسمتُ أن أمارس معك اليوم
غواية الفِكر والحرف
حتى أثيرَك أن تكتب في عينيَّ
ألفَ قصيدةٍ لم تُكتب من قبل
ولم يرَها في عالمنا العُشاق..
أن تعترف بملء الصدر
والقلب والكلمة
نعم أحبُّها وتحِبُّني
بهوسٍ وجنون ووَلَهٍ
وتذوب الأحرف بيننا

في عشقٍ وتهوُّر وسَفَهٍ
إن الليل حين يأتي يُصبح مِلْكَنا
وأننا طائرٌ واحدٌ يمتلكُ جناحَين
يُحلِّق حيثُ ينبض فينا
الحرف والجنونُ
دون حسابات كونية عقيمة
في ماذا سيحدُث غدًا..
أقسمتُ
أن أكون الليلة فتاةَ كلِّ الأساطير
فأحكي لك كشهرزاد
وأهرب منك كسندريلا
وأموت بسُمِّ العشق كذات الرداء
وأغرق في بحور
لا تنتهي كعروس البحر..
أقسمتُ وبكامل الأيمان
حتى ما عاد يُجدي مع قسمي
كفَّارةُ ولا صيام

فقد

قيد زمنٍ أو أكثر
كانت ترقص رقصتها الأحاديةَ
لتشعل القلوب نارًا
وتضيءَ الأرض نورًا
وحدها تعرف
سِرَّ الدوران حول النفس
تراود أحلامها؛ فتستعصم
تنام بنفسجتها على وجنتها
ترتّب حقائبها
كما ترتّب خصلاتِ شَعرها
وَيْحَهُ قلبها
يسقي ماءً من حنين
ويزرع غيماتِ فَقْدٍ

ويُنبت زهرًا

يلهو على أضغاث الدمع...

وَيْحَها القصة لم تُختَمْ بعد

كل فصولها تقلب الصفحة

وحدها تضع النقاطَ

وتلهو مع الحرف...

وَيْحَه ذي البرج العاجي

أهلَكَ نفسَه شوقًا

وابتسامةٌ لا تفارق شفتَيه

رغم أن الطفل في الأيسر

يبكي بكاءً حادًّا

زلزَلني ولم يهتز له جفن...

كيف أكون بهذا الحنان عليك

وكيف تكون بهذه القسوة عليّ

دمٌ كاذب على جدار القلب

نسمات تشرين تهبُّ على القلب

ككرة ثلج يطيح بها الهواء

في ليلٍ عابثٍ

قاتلة هي...

رائحة تساقُط أوراق الشجر...

تلتحف الرحيل..

وتُهدر قيمة الوقت

على أعتاب النسيان...

تشرين لا تمتزج بالحنين

فجميع الفصول

قد خانت الياسمين

ورائحة الخيانة

كريهة جدًا لامرأة مثلي

ترى الخيانة ذنبًا

يستوجب الرَّجْمَ

ربما الصلب

حتى تأكل الطير من رأس الخائن

استجداءُ المجدلية..

لن يشفعَ عندها للخائنين

ودموع مريم...

لا تمسحها مناديلُ التحسُّر

العذراء...

لن يدخلَ مخدعَها الأفَّاقون

ووَرد الدهشة يأتي باليقين

جنائز الرحيل

لا تجدي معها صلوات المغفرة

طوفان النبض يحترق على الشفاه

حنانيك...

في تضرُّعك اخشعْ دون تقبيل الجباه

اسجدْ حتى يبلغَ التصوُّفُ منتهاه

والْقِ السلام على يمينك

فاليسار يبكي بالشجن

والحنايا لا تملك سواه

رتّلْ جيدًا...

اذكرْ اسمي في كل صلاة

اقتربْ..

فلعل في القرب تكون النجاة

كبرياء

وحق من سواك رجُلاً بين الرجال

وجعلني أنثى تهوى المُحال

وحق من أعطاني جنون الشعراء

وهوسهم وتطايرهم مع الريح

وفوق الخيال

والذي خلقني من ماء وحُبٍ وشعر

بحق كل لمحاتي الجميلة

وحقيقتك متناهية الغموض

سأكون أنا مهما كلفتني الأشياء

سأكون أنا رغم جُرح القلب منذ ألف عام

رغم هوس مشاعرُ لا تنام

ونجومٍ صافحتني وألقت عليك السلام

أنا لستُ امرأة عادية تقف في سوق النساء

أنا لستُ امرأة تجدها وقتما تشاء

أنا عنفوان ورحيل وكبرياء

لا اغزلُ كؤوس الهوى

ولا اصُب فتنتي على الاشتياق

لا أترنح ثملة

وأنسى تاريخي في لحظة عناق

لا أعبثُ بحنايا القلوب

ولا أغازل بعيني آلاف الرجال

إنما عزة أنا وكرامة وإباء

غالية كجواهر سُليمان...

لم يطمسها إنسُ قبلك ولا جان

عفوية...

بريئة...

طفلة...

لكني لستُ ساذجة...

أنا يا رفيقي المحُ الكذب اللذيذ

داخل عينيك

ألمحُ الطفل الشريد داخل عينيك

لكني أبدا لا أفصح...

لعينةُ ...أسمعك تهمسها

مُحتالةُ... تكاد تنطقُها

فقل ما تشاء..

أنا الجنون قد سكن أحداقي قبل أن ألقاك

والهوى نسجته ستارا على شُباكي

وقلت لشراعي تركتُك للريح يُغيرُ مجراكِ

فقل يا جنوني ما شئت عني

وكذِب إن أردت فيك ظني

وأملأ أنفاسك بعطر النساء

فسيُلازمُك عطري دون حياء

أعتنق أجسادهن وغنجهن مُتخلياً عن كل وفاء

لكنك لن تُغير في شيء

سأظل بذرة طيبة

أصلها ثابت وفرعُها في السماء

كن معهن وبكامل قواك

ستجد طيفي يسكُن عينيك دون اكتفاء

وتعود وأشواقك تُزلزلُ فؤادك

لتجد ياسمينك محفوظاً بين أوراق كتاب

بعيدا عن أيدي السُفهاء

يا شكي ويقيني وظني

إن جاء وقتُ الرحيل رجاءً

لا تلُمني....

اسمي إذاً شهرزاد

رغم الأحزان

والنبض المحتضر العاشق للألحان

مازال الهُدب يغلقُ على صورتك أبواب الحرمان

مازال العُمر يُغرِّد باسمك شوقًا وافتتان

وستائر القلب يداعبها الهوى مابين التدلُه والتمني.

.وبين الانسدال والنسيان

وعصفورٌ أخضرُ سكن شُرفاتي

يُحدثني أن لقاءَنا لا شك آتٍ

آه منها الشرفات...

ازدانت وردًا وشوقا وربيعًا وزنابقَ بيضاء

زرعتَها أنت في جدائلَ انسدلت حريرًا

وأسكرتها شِعرًا

ونظَمتها بين الخصلات سنين

فكيف اليوم تتركها تتساقط انتحارا وحنيناً

ألست شرقيًّا؟

تعرفُ أن المرأة الشرقية لا تملِكُ إلا قلبا ضعيفاً

يموج فيه الغضب والعشق والثورة

التمرد والعند

ويجعله الحُب حَملاً وديعًا

أسيرُ في غرفتي المنتشية بعطرك الممزوج بحريق الأيام

وأنظر من خلف نافذتي

على أرضٍ بللها المطر والخوف

والصمت والسلوان

أهدهِد أحلامي كطفلةٍ صغيرة

ترتعش تبتُلاً للحظة أمان

لم يبعثها الله نبيًّا ولا قديسة

ولكن نقيةً تعيشُ بقلب إنسان

فأخبرني يا صديقي كيف ضللتُ بين عينَيك طريقي؟

يا من تطفئُ بأغانيك شوقي وزمهريري وحريقي

يا شهريار حكايتي..

يا من أطحت برؤوس النساء ابتغاءً لجنَّتي

وستطيحُ بآلاف الرؤوس بعدي

لأستكملَ معك حكايتي

فأنا السرد...

أشعل التاريخ نيرانًا

وحين أسير أتألق شِعرًا ونورًا

وأكون للعاشقين نبراسًا

شهرياري...

أيها الطفل المُرهقُ الأنا

ينام كل الناس وتظل ساهرًا

تبكي وتتذمر لأسرد لك حكايات مدينتك

التي هي حُلم لا يُسرد ولا يُعقل ولا يُفسر

فأنا شهرزاد كل الحكايا

وما دوني مجرد بقايا

لحُلمٍ عشقته في أنوثتي وبراءتي

وقمرٌ يُسكب في ضحكتي وصبايا

أيُها المحتال عشقا...

أدركَني وأدركك الصباح

وكلانا يعلم انه لن يفيد الكلام المُباح

فأنا من سكنت وسأظل أسكن الحنايا

أما الباقيات فلهُن

بُكاء القتلى... ورثاءُ الضحايا

الشريدة

أنا ابنةُ القصيدة الشريدة

سكنتُ ألفَ بيتٍ فيها

ولم أجد بيتًا يحتويني

ولم أجد حائطًا أتوسَّده

ولم تسعِفْني عصا

لأهش بها على أحلامي

رغم أني ضممتُ يدي إلى جناحي

متوقِّعةً أن تخرج بيضاءَ من غير سوء

لكنها ويا للعار

خرجتْ محمَّلةً بالخيبات

نبذة عن مبادرة الصومعة

الراعي الرسمي لإصدار هذا الديوان

بدأ التفكير في المبادرة منذ 10 سنوات وكانت تهتم بالموسيقى والرسم فقط إلى أن طورتها رحاب زيد لتشمل "الفن التشكيلي، الرواية، الشعر، السيناريو، التصوير الفوتوغرافي"، وتم إطلاق المبادرة للنور في يناير 2018، وتقوم فكرتها على تبني المواهب الجديرة بالاكتشاف وإخراجها للنور، بنظام جديد لا يتخذ طبيعة الورش التعليمية وإنما يأخذ شكل التهذيب الروحي، وذلك من خلال الانتقال بالصوامع في مكان مختلف كل مرة، بحيث نعطي العقل والفكر فرصة للانطلاق والتجديد والتخلص من الضغوط مما ينتج عنه فكر أعمق وأنقى، وتتنوع الأماكن ما بين أماكن أثرية وثقافية وسياحية، وذلك لإثراء الحالة الفكرية وتنشيط السياحة الداخلية، وكل هذا يتم من خلال اتفاقيات مع شركات السياحة والشركات التي تهتم بالإبداع ليكونوا رعاة لهذا الحدث.

وتتمثل خطة الصومعة في إقامة معرض يضم لوحات لأفضل 6 رسامين تخرجوا من الصومعة، كذلك طباعة أفضل روايات ودواوين لأفضل

روائيين وشعراء ممن سيثرون الحالة الثقافية بالتعاون مع دور نشر لها قيمتها الفكرية.

ليس هذا فقط بل تقوم الصومعة بتقديم أفضل سيناريوهات تخرج من أفرادها لشركات إنتاج قوية مهتمة بتقديم أقلام جديدة للساحة الفنية.

هذا بخلاف العديد من المعارض التي ستقام تحت رعاية الصومعة، ومنها معرض الصور الفوتوغرافية ومهرجان صومعة البادية وغيرها العديد من المشاركات الثقافية والفكرية.

الفهرس

مقدمة.....4

نبذة عن المؤلف.....8

إهداء.....9

دهشة.....11

لستَ يوسف.....14

امرأة مرفوعة مؤقتًا من الخدمة.....17

ما بعد رقصة البندول.....21

حافية على جسرٍ من الوَلَه.....24

التحويزة.....26

ابن الخطيئة.....28

سفينةُ غرْقَى.....31

فلهوني.....34

زهور جفَّتْ اشتياقًا 38
طلاسم حزن 40
رجُلُ أتى بالعيد 45
إلى أبي 48
تفاصيل 57
حوار البنفسج 60
مداد القلب 65
الظِّل الأحمر 69
عطر الجلاد 73
مناجاة نبض 78
سنائر تبكي ليلاً 82
سحر الغوايش 86
فقد 88
دمٌ كاذب على جدار القلب 90

كبرياء 93
اسمي إذًا شهرزاد 97
الشريدة 101
نبذة عن مبادرة الصومعة 102